

نفاذ الصبر في معالجة الإدمان

وعلى الرغم من أنّ الموقف المتشائم لكثير من المعالجين تجاه معالجة الإدمان موقف غير صحيح، فلا غرور أن يكون العمل مليئاً بالتحديات، وإن أحد أسباب ذلك، هو أنّ أنواع الإدمان تكون سلوكيات ضارّة غالباً، ما يُنشئ توتراً إضافياً وضغطاً أكبر على مقدّمي العناية، للقيام بعمل شيء سريع لوقف هذا السلوك. وأحياناً ينبع هذا الضغط من المريض نفسه، كونه غير قادر على تحمّل التخلص من هذه المشكلة المدمرة. ومثلما هي الحال في كثير من الأحيان، فإنّ الضغط يتولّد بين أعضاء العائلة الذين عانوا عواقب سلوك الشخص الإدماني وآثاره، ومن ثمّ يكون الجميع قلقين ومتوتّرين، وإذا لم تستطع بصفتك معالجاً أن تصلح المشكلة سريعاً – إذا واصل مريضك الشرب والقمار... إلخ، شهوراً أو حتّى سنوات – فقد تصبح أنت هدفاً لكل ذلك الغضب والإحباط.

إنّ أحد أخطار هذه المهنة، هو أنّ تلام على عدم تمكّنك من إيقاف السلوك الإدماني لدى مريضك. فعندما يعاني الناس مع بعضهم – ربما بالدرجة نفسها – مشكلات الإحباط والقلق، يُعطى المعالجون فسحة من الوقت والمكان للقيام بعملهم. هناك فهم داخلي بين المرضى وعائلاتهم، أنّ المشكلات التي تبرز طوال الحياة تحتاج إلى وقت طويل لعلاجها، وعندما يُنهي أصحاب هذه المشكلات علاجهم بعد سنوات ربما، فإنّهم ومن يحبّون سيكونون مسرورين جداً لمدى التقدّم الذي أنجزوه، ومدى السعادة التي وصلوا إليها. قد لا تكون النظرة إلى من يعالج الإدمان إيجابية وصبورة، فقد نسمع عبارات احتجاج ضد بعض المعالجين مثل: «أي نوع من العلاج هذا؟ ما زال زوجي يحتسي الكحول وأنت تعالجه منذ عام كامل!» وعند الاستجابة لهذا النقد، فمن الأهميّة بمكان أن نتذكّر أنّ أولئك الذين يحتجّون يقومون بهذا غالباً لأنّهم لا يفهمون طبيعة الإدمان. فإذا كانوا ينظرون

إلى الإدمان بصفته عادة سيئة، أو شيئاً (مرضاً) يمكن الشفاء منه عبر ما يسمّى الحب القاسي، فإنهم بطبيعة الحال سيشعرون بالغضب والإحباط عندما تستغرق المعالجة كثيراً من الوقت.

وفي هذه المواقف، فإن شرح كيفية عمل الإدمان، مثلما فعلت في هذا الكتاب، سيكون مفيداً لهم أحياناً. (إن امتلاك أفراد الأسرة نسخة من هذا الكتاب، سيكون مفيداً)، ولكن بالتأكيد، فإن أفراد العائلة ليسوا مرضاك، وقد يكونون غير مهتمين لسماع سبب قيام من يحبون بهذا السلوك، وقد لا يوافقون على معرفة شيء منك عن أنفسهم، فقد يكون كل ما يريدونه هو أن يتوقف الإدمان، ومن ثمّ يحتاجون إلى أن يعرفوا أنّك قد استمعت إليهم، وأنكم جميعاً تدركون الأخطار التي يواجهها المريض، وأنك مهتم بها مثلهم تماماً. إنّ تحمّل قلق أفراد العائلة، يساعد كثيراً عندما تستغرق المعالجة وقتاً طويلاً، ومن الضروري إدراكهم أنّ ذلك الوقت ليس لأنك تعالج من دون اهتمام شديد، أو لأنك تقلل من حدّة الوضع وخطورته، بل لأنك كنت تفضّل البقاء معهم إلى جانب المريض لمساندته.

وأخيراً، إنّ أفضل علاج لشعورك بتهمج الآخرين عليك بصفتك معالجاً، هو معرفة أمرين: طبيعة الإدمان أولاً، ومريضك ثانياً. وكلّما عرفت الشخص الذي تحاول مساعدته على التخلص من إدمانه أكثر، كنت قادراً على تحمّل اتهامهم لك بأنك لا تعالج المريض بالسرعة المطلوبة، ولحسن الحظ فإن صعوبات معالجة حالات الإدمان لا تقاس بحقيقة أنّها قابلة للعلاج، عند التعامل معها بطريقة صحيحة. والجائزة الكبرى والنهائية لجهودك وجهود مريضك المضنية، هي رؤية مريضك وهو يعود إلى الحياة من جديد.

